السياسة الدينية في المغرب الأقصى خلال القرن (12هـ/18م)
(عهد السلطان محمد بن عبد الله نموذجا)

الأستاذ شرف موسى
المركز الجامعي للبيض

مقدمة: عرف المغرب الأقصى بعد وفاة السلطان العلوي المولى إسماعيل وضعا متأزما ومتدهورا في شتى الميادين لا سيما الجانب السياسي حين أصبحت ولاية العرش في المغرب الأقصى يتجاذبها الإخوة الأعداء أبناء المولى إسماعيل ويتصارعون عليها بتحريض من جيش العبيد الذي خرج عن طاعة المخزن بعد وفاة مؤسسه المولى إسماعيل، وهذا ما فتح الباب على مصراعيه لأطراف أخرى حاولت تغذية الصراع والاستفادة من الأزمة لتحقيق مطامع سياسية أو اجتماعية أو تحقيق مكاسب مادية، ونقصد هنا المرابطين وأصحاب الزوايا والطرق وكذا القبائل التي تنحدر منها زوجات المولى إسماعيل أمهات الأمراء المتصارعين على الحكم، ونظرا لتداخل أسباب الأزمة التي عرفت بأزمة جيش العبيد فإنها دامت قرابة الثلاثين سنة، لم ينجو المغرب منها حتى صار أمره إلى المولى محمد بن عبد الله حفيد المولى إسماعيل.

يجمع المؤرخون في تاريخ المغرب على أن السلطان محمد بن عبد الله هو منقذ دولة الشرفاء العلويين، بعد أن تلاشت هياكلها منذ وفاة السلطان إسماعيل، والمؤسس الحقيقي للمخزن الحديث.[1] لأنه عمل على إعادة إحياء مؤسسات الدولة الجديدة وتمكن من تحديد معالمها الأساسية عندما كان ينوب عن والده في مراكش.[2]

لقد اشتهر المولى محمد بن عبد الله بسياسة دينية مزجت بين الأفكار السلفية تارة وبين الميولات الصوفية تارة أخرى. فكانت هذه السياسة جزء من خطته الإصلاحية للقضاء على بؤر التوتر في المغرب. فما هي أهم مظاهر هذه السياسة؟

أ ـ علاقة السلطان بالأشراف:

شهد عهد المولى إسماعيل اهتماما كبيرا بمسألة الأشراف، فقد كان الأخير حريصا على إحصاء الشرفاء وتدوين أسمائهم وأنسابهم، وتم اتخاذ مواقف صارمة

في إدارة الأنساب، كما ساعد ذلك على إضعاف وتطويع قوى اجتماعية، كانت تستخدم النسب الشريف كمطية لدعم مختلف أشكال النفوذ المحلي.[3]

وقد كان الشرفاء الذين يدعون الالتحاق بالسلالة النبوية ويعترف لهم بانتسابهم إلى العترة المحمدية، متمتعين بنوع من التفوق الخاص، تحيط بهم هالة من التقدير والتوقير، راجعة إلى كريم نسبهم، وإشعاع زاويتهم.[4]

وبعد نهاية الحقبة الإسماعيلية وبداية أزمة جيش العبيد، ظهرت معها مجددا مسألة إدعاء الشرف لدى الكثير من القبائل. ولكن هذه المرة بصورة فظيعة، فصارت نقابة الأشراف[5] منصبا دنيويا يتوارثه ولد عن والد ويتولاه عامة الناس وجهلتهم، وجدد المتشرفون ما ضاع لهم وزادوا عليه وتسابقت بعض الأسر في القبائل إلى الانتساب للأشراف،[6] كما هو الحال مع أولاد البشري وأولاد المنزاري وأولاد ابن عاقلة من أهل سلجماسة[7]، الذين كانوا يغتنمون فرصة وجود حجاجهم بالجزيرة العربية لاستمالة أحد الأشراف من حفدة النبي صلى الله عليه وسلم ليسكن أرضهم التي كانت خالية من وجود الأشراف.[8]

ولهذا السبب وغيره مما سيأتي في سياق البحث، استعان السلطان محمد بن عبد الله بالعلماء والقضاة والأشراف الذين ثبت نسبهم وولاؤهم في تحديد نسب الشرفاء، أو المدعين للشرف. فلا تكاد تجد كتابا من كتب أهل الدعاوى الكاذبة إلا وعليه خطوط العلماء أو إمضاء النقباء وأشكال الشهود والثبوت.[9]

والمتشرفة أو المدعين للشرف محكوم عليهم ببطلان شرفهم في القديم، منبه على ما بأيديهم من نسخ مزورة وأنساب مستعملة وظهائر[10] مفتعلة، فبسبب ذلك فسدت الأنساب.[11]

ولإعادة النظر في صحة نسب الشرفاء، استفاد المولى محمد بن عبد الله من دفاتر جده إسماعيل التي دون فيها هذا الأخير، أهل الشرف من المتشرفة، بعد جهد وثبوت، وأصبحت هذه الدفاتر المرجع الأساسي الذي اعتمده السلطان محمد بن عبد الله في وقت لاحق، وحتى يتوقف السلطان على صحة أنساب الشرفاء، عهد إلى عماله بقبض الزكاة والعشور من القبائل، ولكن الأشراف كانوا لا يدفعون الزكاة مع العامة،[12] ويوم خروج عمال السلطان لمهامهم، استغاث الرعايا من أهل الدعاوى وقالوا: "لم يبق معنا من يعطيها، كلها رجعت أشرافا، بنو عمنا يرثوننا ونرثهم تشرفوا علينا."[13]

فلما بلغ السلطان ذلك انتبه من غفلته، وقام لذلك برمته، ووجه كتّابه وخدامه وأمرهم بجمع العلماء والقضاة وأعيان القبائل، وطلب منهم الاستعانة بدفتر الأشراف لجده إسماعيل، مع تسابقهم إلى العمل في البحث عن المتشرفة في القبائل، فيطوفون عليهم، إلى أن يقفوا على حقيقة أمرهم، وينزعوا ما في أيديهم ويدفعوهم لأشياخهم (رؤساء القبائل) ويجددوا كناش الأشراف وحدهم، ويخرجوهم من العامة، ولو كانوا عشرة في القبيلة، وهكذا افتضح أمرهم وأزيل ما بأيديهم من الكتب والظهائر التي جددوها أيام الغفلة.[14]

ولما انتهى العمال من كتابة الدفتر، توجهوا به وبالكناش الإسماعيلي إلى السلطان محمد بن عبد الله، فطلب منهم أن يكتبوا له نسخا ويوجهوها إلى عماله في القبائل، وجعل للشرفاء أشياخهم، ولا يتصرف فيهم شيخ العامة، وكلفهم بدفع زكاتهم وأعشارهم ليد أشياخهم، وأسقط عنهم ما سواها، كالهدية والمؤونة وغيرها من الضرائب، فلا يعطون إلا ما أمرهم الله به.[15]

وفي شوال من عام (1183هـ/ 1773م) وجه السلطان محمد بن عبد الله كتابا إلى أشراف تافيلالت،[16] بعد أن رفضوا المثول لأوامره التي وجهها لهم مع خادمه، ما نصه: "الحمد الله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله، كافة شرفاء تافيلالت، شتّت الله شملكم لا سلام عليكم ولا رحمة ولا بركة في أموالكم، ولا في أولادكم ولا في عمركم...تالله لولا سادتنا القدماء المعتبرون هناك، لرأيتموني كالرعد في ليلة مظلمة أو المطر في آخر الليل... هل عرفتهم أن بيت المال عمره الله، محتاج لما يرد عليه من تافيلالت؟ بل المراد إصلاح بلادكم، وبيت المال والحمد لله في كفاية عن بلدكم برا وبحرا (كذا)."[17]

وإن كانت هذه السياسة الصارمة من السلطان تجاه أهل الدعاوى من المتشرفة أو حتى الأشراف أنفسهم، فإن السلطان لم يخف اهتمامه وعطفه على الأشراف، فإنه كان في كل سنة يرتب لهم مائة ألف مثقال من المال زيادة على ما يقبضونه في أيام السنة متفرقا.[18]

وهكذا استقامت أحوال الرعايا طوال أيام السلطان محمد بن عبد الله وخمد أهل الدعاوى ولم يبق لهم ذكر، إلا بعد موت السلطان، فشكا أهل الدعاوى أمرهم إلى اليزيد ابن المولى محمد وهم وقت ذاك أنصاره.[19]

ب ـ علاقة السلطان بالزوايا والطرق الصوفية وبالحركة الوهابية:

إن أصحاب الزوايا والطرق وإن لم يكونوا من الشرفاء واقتصروا على مجرد كونهم مرابطين،[20] مكنهم الاعتبار الذي أولى لهم من تبوء المقام الأول في الدولة العلوية. ولاسيما خلال الأزمة، فكان شيوخ الزوايا ورجال الطريقة أشخاصا موفقين بين الجماعات ومسددين بين الأفراد،[21] يقومون بدور الحكام بين القبائل والعشائر، ويوفرون المكان والضمانة الأخلاقية التي تمكن القبائل المتنازعة من حل مشكلاتها بالاجتماع قرب الزاوية عند ضريح الجد المؤسس، فهذا الضريح وما جاوره حرم لا يجوز التنازع فيه.[22]

وبعبارة أخرى فإنهم يشكلون حجر الزاوية لنظام الأعراف المحلية ولنظام التحكيم لدى قبائل العوام.[23] ومكنهم ذلك من احتلال مكانة هامة في المجتمع المغربي، مما جعل أمراء الدولة العلوية يلجئون إليهم مررا فاتخذوا منهم وسطاء كلما أرادوا أن يفكوا نزاعاتهم سلميا مع خصومهم، وأحيانا كان الأمراء يتخذون من الزوايا ملاذا يعتصمون به،[24] فيجدون فيها التعزية المعنوية والتغذية المادية، وغالبا ما يحدث ذلك خلال الأزمات.[25]

ولأن شيخ الزاوية أو الطريقة رجل فصيح اللسان في الغالب، يتسم بالذكاء القوي والفطنة الكبيرة، إلى جانب الكرامة التي تؤهله لتحقيق فعل خارق، كأن يردع ويتحدى وينتقد ويعاقب ويعفو، مستعملا سلطته الروحية المبنية على عامل الخوف للسيطرة على الوعي الجماعي للعامة وسلاح نفسي لردع الخصوم، فإن من المؤرخين من عبر عن هذه السلطة على سبيل الاستعارة بصورة الشوكة، التي زاد حجمها وخطرها إبان الأزمة، حتى أضحت قوة الأمراء تقاس بقوة الزوايا وأتباعها.[26]

والسؤال الذي ينبغي طرحه في هذا الموضوع هو: هل حافظت الزوايا والطرق على قوتها ومكاسبها التي حققتها أيام الأزمة، في عهد السلطان محمد بن عبد الله؟ تفيد النصوص والكتابات التاريخية أن السلطان محمد بن عبد الله اتبع منذ بداية حكمه سياسة معادية لأصحاب الزوايا والطرق الصوفية ومنعها من أن تستعيد نفوذها الواسع، تأسيا في ذلك بجده إسماعيل وبالسلطان السعدي المنصور الذهبي[27] بل ذهب أبعد من ذلك على مستوى العقيدة، فقد عارض بحزم ما كان يدعيه المرابطون من اتصال مباشر بعالم الغيب، ووجد سندا قويا في الدعوة

الوهابية التي ظهرت آنذاك في الحجاز.[28] فالسلطان منذ احتكاكه بأرض الحجاز وهو مهتم بكل ما يجري في المشرق العربي من أحداث، فهو من جهة مهتم بالتوتر الحاصل بين الدولة العثمانية وخصومها، ومن جهة أخرى كان يوطد صلاته بأمراء البقاع المقدسة.[29] ومما شغله كثيرا تلك الأفكار الإصلاحية التي حملت لواءها الحركة الوهابية،[30] ومما زاد تعلق السلطان بها الأخبار التي كان ينقلها الحجاج إلى المغرب، فكانت معظم قوافل الحج، تعج بالعلماء والفقهاء،[31] الذين لا شك في صحة أخبارهم وصدق أقوالهم.[32] وهكذا دخلت الوهابية حياة السلطان محمد بن عبد الله، فاتخذها وسيلة لدعوته الإصلاحية وطريقا لمشروعه النهضوي التحديثي بالمغرب.[33]

فمنذ مطلع النصف الثاني من القرن الثامن عشر ظهرت تعاليم الوهابية في التيار الديني "السلفي" الذي عرف به السلطان محمد بن عبد الله.[34]

ويرى بعض المؤرخين أن تبنى المغرب للوهابية في هذه الفترة لا يقتصر على كونها دعوة ذات طابع إصلاحي فحسب، ولكن من جانب سياسي كذلك باعتبارها ثورة ضد الخلافة العثمانية، الشيء الذي جعل منها سلاحا إيديولوجيا ملائما في نظر المخزن، يقاوم بها خصومه في الداخل الذين كانوا أساسا من شيوخ الطرق والزوايا، وأحد خصومه في الخارج وهم الأتراك العثمانيون في الجزائر.[35] ويرى صنف آخر من المؤرخين أن السلطان محمد بن عبد الله لم يكن وهابيا، بقدر ما كان عالما مجتهدا، مهتما بعلم الحديث ودراساته وشروحه، وأسانيده، إلى جانب إصلاحاته القضائية والعلمية ومناهجه التعليمية ثم الاقتصادية والاجتماعية المستمدة من المذهب الحنبلي. وقد قادته أفكاره (أي محمد بن عبد الله) إلى الأفكار نفسها التي ظهرت في مذهب محمد بن عبد الوهاب السلفي.[36]

ومهما يكن من أمر فإن الدعوة السلفية وجدت جذورها بالمغرب خلال القرن (12هـ/ 18م) على يد السلطان محمد بن عبد الله العلوي، بعد أن أصبحت الزوايا ذات قوة سياسية ومادية واستقطبت الكثير من الأتباع.[37]

وبالنظر لتوسع الزوايا ونفوذها على المجتمع المغربي، فهي لا تكاد تفصل العمل الديني عن السياسي، كما أن موقفها لم يكن واحدا تجاه المخزن، الذي استغل التضارب في مواقف بعض الزوايا ليوظفه لصالحه في الكثير من المرات.[38]

ولا يمكن أن نتغافل الاحترام الذي كان يكنه السلطان محمد بن عبد الله لعدد من الزوايا، وفي الوقت نفسه الصرامة وعدم التساهل مع المرابطين المنحرفين أو المشعوذين الذين كانوا يستغلون سذاجة القبائل.[39] ولطالما حذرهم السلطان وخيرهم بين ما هم عليه من انحراف وما جاء به من الفكر السلفي الإصلاحي. وكان يخاطبهم بالقول: "إني مالكي المذهب حنبلي العقيدة"[40] وفي بعض الكتب وهابي العقيدة،[41] ويظهر هذا جليا كذلك من خلال مناهج التعليم والقضاء التي أحدثها السلطان وأمر الجميع بإتباعها بما فيهم غلاة الصوفية.[42]

وحتى ندرك حقيقة العلاقة التي كانت تربط السلطان محمد بن عبد الله بالطرق الصوفية والزوايا، نقف عند بعض مواقف السلطان منها أو مواقفها من المخزن بصفة عامة، من ذلك:

هدم السلطان لزاوية "أبي جعد" التي تنسب إلى الزاوية الشرقاوية لمؤسسها محمد الشرقي (ت 1010هـ/ 1601م)، والتي حظيت لفترة معينة بعطف المخزن،[43] فقد بلغت زاوية أبي جعد خلال عهد السلطان محمد بن عبد الله أوج قوتها، بفضل أتباعها الكثيرين بالشاوية[44] وتادلا، وتميزت كذلك بأنها كانت حرما ومأوى للاجئين الذين كانت تتعقبهم الدولة لسبب أو لآخر. وقد وقفت هذه الزاوية بصلابة تجاه الاحتكارات الأوربية[45] التي تولت تسويق المنتجات الزراعية إلى الخارج انطلاقا من الدار البيضاء، وكانت الزاوية كغيرها تحظى بالإعفاءات الضريبية، فآوى إليها اللاجئون من الضرائب،[46] وكان السلطان يأمر شيوخها بإخراج أهل الفساد منها فلا يلتفتون لمقاله ولا لمراده.[47] ويوم قرر المرور بجوارها أمر جنوده بهدم الزاوية وإخراج أهلها منها، بما فيهم شيخها محمد العربي بن معطي الشرقاوي،[48] الذي نقله السلطان إلى مراكش حوالي (1179هـ/ 1765م).[49]

أما الزياني في ترجمانته فيذكر خلاف ذلك، باعتباره شاهدا على الموقف، فيرى أن السلطان لم يكن يقصد بتحطيم الزاوية إهانة أهل أبي جعد، وإنما كان نقله لشيخها إكراما له بحيث لازمه وعاش معه زمنا.[50]

وهناك من الزوايا من كان معاديا للسلطان بحكم ماضيها التاريخي، مثل الزاوية الشرادية، بعد عودة مؤسسها محمد الشرادي[51] من الحج سنة (1177هـ/ 1763م)،

وكانت تابعة لقبيلة الشراردة العربية من فروع المعقل، الذين سبق لهم وأن حكموا مراكش، ثم أقصوا منها عند ظهور العلويين، فهم معارضون منذ ذلك الوقت.[52]

وقد شكلت الزاوية الدرقاوية[53] بقيادة شيخها مولاي العربي الدرقاوي، بداية من سنة (1193هـ/ 1779م) خطرا لا يستهان به على المخزن.[54]

كما قام السلطان بالقضاء على الكثير من المرابطين الذين كانوا بالنسبة له أعوانا للأتراك في منطقة درعة[55] والأطلس المتوسط كزعماء تازروالت.[56] ولاسيما بعد موجة الهجرة التي كان المولى إسماعيل أوقفها جراء هروب عدد كبير من المغاربة إلى إقليم تلمسان، وبقي من هؤلاء من يتسبب في الفوضى في المغرب.[57]

وهكذا نجد السلطان يتخلص من أبي عبد الله محمد العربي الخميسي المعروف بأبي الصخور، الذي كان له صيت وشهرة بين القبائل الجبلية، وكان يظهر التنسك والعبادة، ويزعم أنه يستخدم الجن، فكان للعامة فيه اعتقاد كبير، حتى أنه كان يقول للناس أن السلطان محمد بن عبد الله لا تطول مدته، فأخذه السلطان عن حين غفلة وقتله، وبعث برأسه إلى فاس.[58]

وعلى العكس من ذلك تبدو سياسة السلطان محمد بن عبد الله تجاه زوايا أخرى مغايرة تماما. فالزاوية الناصرية[59] بدرعة، بالرغم من نفوذها الروحي وثرواتها الكبيرة فإن شيوخها التزموا الحياد أو مساندة السلطان محمد بن عبد الله، وكان شغلهم منصبا على نشر طريقتهم وبث المعرفة، كما كان شيخها إلى جانب السلطان على ولاية مزغان[60] سنة (1183هـ/ 1769م)، كما أن السلطان نفسه شجع هذه الزاوية،[61] فلقد كان في كل سنة يرتب لأهلها مبلغا من المال والهدايا على سبيل الإعانة، وفي سنة(1189هـ/ 1775م) أهدى السلطان لها عشرة قناطير من معدن الحديد حتى تستعمله فيما يناسبها.[62]

لكن من المؤرخين من قال أن هذه الزاوية كادت أن تلقى نفس مصير زاوية أبي جعد، بالرغم من الدور الكبير الذي لعبته في مجال التوعية ونشر المعارف التقليدية والتربية الاجتماعية، لا لسبب إلا لأن السلطان أراد أن يستحوذ على أملاكها لشخصه. ولأن المصادر المغربية والأجنبية أكدت أن السلطان لم يكن طائشا ولا مبذرا في حياته الخاصة، فإن هدفه من وراء هذا التصرف تجاه الزاوية

الناصرية، كان سياسيا على الأرجح وليس لمجرد الشهوة إلى المال. وعلى كل فالموضوع يحتاج إلى تقص أكثر.[63]

أما الزاوية الوزانية،[64] فكان نشاطها موجها بشكل كبير نحو الريف المغربي وكذلك نحو فاس وواحات الجزائر بإقليم توات،[65] ولقد حظيت هذه الزاوية على غرار العديد من الزوايا المغربية الأخرى بامتيازات كبيرة من طرف السلطان محمد بن عبد الله، من ذلك أنه وجه كتابا لشيخ الزاوية علي بن أحمد بن طالب سنة(1200هـ/ 1785م) يثني عليهم ويمدحهم فيه، ومما ورد في هذا الكتاب بعد الحمدلة ما نصه: "سادتنا الأشراف أولاد مولاي عبد الله الشريف نحب من سيدي علي بحق مولاي عبد الله الشريف، أن تكون حاجزا بيني وبينهم في جميع أمورهم لأني ما أحب أن أسمع على أحد منهم أمرا قبيحا، فمن فعل منهم شيئا منكرا، فلتأدبه بما ظهر لك من السجن أو غيره... حتى إذا سمعت عنهم القبيح لا يجمل بي أن نترك حق الله فيهم... كما لا يجمل تأديبهم بالسجن والتكبيل والعوام ينظرون إليهم، فإن ذلك يعز علي لأنهم من لحمي ودمي... والأحباس ينظرون فيها وفي وظائفها وفي أمورها، وهل الأحباس كان للتوظيف واللوازم أم لا؟ وتعلميني بذلك، فإن كان غير كاف اجعل له الكفاية بأملاك أخرى من مرسى تطوان ويكون ذلك مفصلا على الرواتب من إمام وحزاب (الطلبة) وكسوة... وانظر رجلا خيرا دينا عالما قائما بالحق، لا يخاف في الله لومة لائم، فأوليه القضاء هناك وأقلده النظر في قضاة النواحي... وهو الحاكم في جميع قضاة الجبل لأننا نعلم أنك لا تدل إلا على رجل ثقة فاضل... ويعمل مبعوثنا إليكم تحت أمركم ونهيكم ولا يتعداه ولا يخالفه، وقد أمرناه بذلك، فإذا رأيته أو علمته تعدى على أحد أو ظلمه، فأرسل إليه وأنهه على ذلك، وإلا فاعلمنا به نعاقبه عقوبة تأتي على نفسه، وكذلك جميع عمال الغرب، نريد منك أن تنظر فيهم، وتكون لنا عونا على تنفيذ الحق... انتهى والسلام."[66]

إذا كان الحال مع الزاوية الوزانية بهذا الشكل من التعامل، فإن الزاوية الدلائية[67] التي كانت في سابق عهدها معادية للعلويين ولاسيما على عهد المولى إسماعيل، فإن السلطان محمد بن عبد الله استدرجها وعرف كيف يكسب صداقة مشايخها، فاحتلوا الصدارة من الارستقراطية الدينية والفكرية في فاس، فتكونت طبقة جديدة من العلماء الدلائيين من أمثال "أحمد البكري" (ت 1199هـ/ 1784م)

والذي استدعاه السلطان محمد بن عبد الله ليعلم ولده "عبد السلام"[68] في تارودانت[69] وسماه قاضيا في هذه المدينة، كما اشتغل بالتدريس والخطابة واستفاد منه الكثير من طلبة إقليم سوس.[70] وهناك من شيوخ الزوايا من أوكلت إليهم مهام قضائية مثل شيوخ الزاوية الفاسية،[71] وعين السلطان محمد بن عبد الله مثلا الشيخ أحمد بن عمر بن عبد الله الفاسي (1197هـ/ 1782م) مستشارا له.[72]

وفيما كان السلطان يمنع شيوخ الزوايا والطرق من استثمار نفوذهم المعنوي في أوساط العامة إلى غاية سياسية، فإنه فتح لهم عن غير قصد باب الاستغلال الاقتصادي باستخدام قوى الفلاحين والكسّابين من أتباعهم. فإن صح هذا الرأي حسب المؤرخ المغربي عبد الله العروي تكون الحركة المرابطية قد تحولت جزئيا على الأقل إلى تأطير شبه إقطاعي، بالمعنى الاقتصادي لا الجبائي.[73]

يجرنا موضوع علاقة السلطان محمد بن عبد الله مع الزوايا إلى تسليط الضوء على جانب هام من سياسة هذا الأخير في استمالته للرعية، وكسبه للمؤيدين والأنصار المتأثرين كثيرا بالبركة التي تمنحها الزوايا عن طريق شيوخها الأحياء منهم والأموات، ونظرا لما لهؤلاء الأواخر من سلطة روحية مهيمنة على عقول الناس وقلوبهم، نجد أن السلطان محمد بن عبد الله استغل تبجيل العامة للأولياء، ليوظفه لصالحه في الكثير من المناسبات، بالرغم من إنكار الدين الإسلامي الغلو في تقديس قبور الصالحين والتبرك بهم، استنادا لحديثه صلى الله عليه وسلم الذي رواه مسلم:[74] "إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل فإن الله قد اتخذني خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا ولو كنت متخذا من أمتي خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أوليائهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك."[75]

وكذلك ما تحمله تعاليم السلفية الصحيحة من معنى في هذا الباب،[76] ووقوفا على ما أنجزته الوهابية وما اتخذته من إجراءات عملية ميدانية خلال الفترة الممتدة من النصف الثاني من القرن الثامن عشر،[77] فبالرغم من تمسك السلطان محمد بن عبد الله بنهج السلف، إلا أنه اعتنى كثيرا ببناء الأضرحة وتجديد أخرى، وبخاصة منها تلك التي لها صيت واسع وشهرة كبيرة في المغرب.

فمن غير تردد أسس ضريح الولي الصالح محمد بن عيسى بمكناس،[78] وضريح الإدريسي[79] وأضرحة أبي العباس السبتي،[80] والجازولي،[81] وغيرها مما لا يتسع ذكره في هذا المقام.[82]

إن تبجيل مشاهير الأموات ما هي إلا سياسة كانت السلطة المخزنية تستعملها في الماضي لمراقبة الأحياء واحتوائهم وظلت السلطة تعين لهذه الأضرحة من يسهر على تسيير عوائدها، وذلك من أجل التحكم في مواردها المالية،[83] وهو الأمر الذي دفع السلطان محمد بن عبد الله إلى تعيين مجموعة من أعوانه وأتباعه للإشراف على تسيير ورعاية أوقاف الزاوية القادرية وجميع فروعها،[84] وإن كان كل فرع بدوره أنشأ أوراده وطقوسه واختط لنفسه اتجاها سياسيا معينا.[85] كما وجدت السلطة المخزنية في ذلك وسيلة ملائمة لتحويل حركة تبجيل ارتبطت فيما مضى بقوى قبلية تحدت الحكم المركزي بالسلاح، وبالتالي قدرة السلطة المخزنية على التحكم في المجال القبلي ومراقبته.[86]

الأمر الثاني: أن أغلب من كانت السلطة المخزنية تبجلهم من الأموات كانوا من ذوي النسب الشريف، وقد يصل عدد الأحياء المجاورين لضريح الولي الشريف العشرات أو المئات، ممن يسود الاعتقاد لديهم أنهم أحفاد الولي الشريف، أي أنهم من الصلحاء وغالبا ما يحضون بتزكية العامة، وبالتالي تلجأ السلطة المخزنية لإكرامهم حتى تتحكم في العامة التي تبجلهم،[87] ومن هذا المنطلق نفهم سبب اهتمام السلطان محمد بن عبد الله بتبجيل الأضرحة والصلحاء.[88]

وبناء على ما سبق أصدر السلطان محمد بن عبد الله مراسيم وظهائر بإسناد أمر بعض الزوايا وأضرحتها إلى أتباعه مثل الظهير الموجه لأبي مدين الفاسي في شأن الزاوية الفاسية،[89] والظهائر الموجهة إلى قبيلة بني زروال التي ينوه فيها ويشيد بزاويتهم ومشايخهم.[90] وظهائر أخرى في إثبات ملكية بعض الزوايا وأوقافها مثل الزاوية الناصرية.[91]

كما لم يفوت السلطان محمد بن عبد الله فرصة زيارة أضرحة صلحاء أغمات.[92] والتصدق على أهلها.[93]

الهوامش:

(1) المخزن في الاصطلاح المغربي الحكومة، والكلمة المستعملة في هذا المعنى منذ عصر المرابطين. أنظر: عبد الرحمن بن زيدان، العز والصولة في معالم نظم الدولة، ج1، المطبعة الملكية، الرباط، 1381هـ-1961م، ص: 46 هامش رقم: 1.

(2) عبد المجيد قدوري، المغرب وأوربا بين القرنين 15 و18، مسألة التجاوز، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2000، ص: 215-224.

(3) عبد الأحد السبتي، النفوذ والصراعات في مجتمع فاس من القرن 17م إلى القرن 20م، ط1، المصلحة الثقافية للسفارة الفرنسية بالمغرب، 2007، ص: 20.

(4) يحيى بن سليمان، نحن المغاربة، مشاكل النمو بين التقليد والتجديد، ط1، دار الغرب الإسلامي، الدار البيضاء، المغرب، 1985، ص: 185.

(5) النقيب هو رئيس الشرفاء، كانت مهمته في السابق مثل القاضي والمحتسب، فكان له تأديب الناس والفصل بينهم، ثم انحصرت مع العلويين في تحقيق الأنساب. أنظر: عبد الرحمن ابن زيدان، العز والصولة في معالم نظم الدولة، ج1 وج2، المطبعة الملكية، الرباط، 1381 هـ-1961م. ص: 72-100.

(6) عبد الأحد السبتي، حليمة فرحات، المجتمع الحضري والسلطة بالمغرب من القرن 15 إلى القرن 18م، ط1، دار توبقال، المغرب،2007، ص: 74-75.

(7) أسسها الخوارج الصفرية من بني مدرار سنة 140هـ-757م، كانت قاعدة لبلاد المغرب، قال عنها ابن بطوطة: "أنه ليست في الدنيا أفضل منها، لما أعطيت من بركة في الزرع والثمار"، احتلها المرابطون ثم الموحدون، ثم المرينيون، نزل بها الشريف الجليل الحسن بن القاسم، جد الملوك العلويين وبلغت من المكانة العلمية والاقتصادية ما جعل الأندلس نفسها تتعامل بدنانير سلجماسة المعروفة (بالعشرية). أنظر: عبد الله ابن عبد العزيز، الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية، معلمة الصحراء، ج9، مطبعة فضالة، المغرب، 1976، ص: 119-120.

(8)عبد السلام حيمر، المغرب، الإسلام والحداثة، الكتاب المخزني، ط1، د.م.ط، 1997، ص: 31.

(9) السبتي، المجتمع الحضري والسلطة بالمغرب، ص: 74.

(10) والظهير هو الصحيفة المطبوعة بطابع السلطان، ولا يطلق غالبا إلا على الصحف التي لها قوة شرعية، كالتولية والعزل، والنص القانوني، فإن لم تكن كذلك، سميت رسالة أو (برا)، سلطانية. أنظر: ابن زيدان، العز والصولة، ج1، ص: 408.

(11) نفس المصدر، ج2، ص: 100.

(12) السبتي، المجتمع الحضري والسلطة بالمغرب، ص: 74-77.

(13) ابن زيدان، العز والصولة، ج2، ص: 103.

(14) عدد المؤرخ أبو القاسم الزياني عندما كان وزيرا لدى السلطان محمد بن عبد الله، أهم المراحل التي مرت بها سياسة إحصاء أنساب الشرفاء في المغرب الأقصى في كتابه "الحادي المطرب" وذكر المؤلف قضية فضيحة المتشرفة بلهجة نقدية لاذعة، واعتبر أن تكاثر المتشرفة راجع إلى ضعف السلطة المركزية وهو ما حدث بعد وفاة السلطان السعدي أحمد المنصور(1012هـ/ 1603م) وكذا بعد وفاة المولى إسماعيل، أي خلال ثلاثة عقود من أزمة جيش العبيد، ولكنه يؤكد أن عهد المولى محمد بن عبد الله شهد تحولا حقيقيا في سياسة الأنساب، إذ وقع الانتقال من مرحلة التساهل إلى مرحلة التشدد والمراقبة. أنظر: السبتي، النفوذ والصراعات في مجتمع فاس، ص: 34-35.

(15) ابن زيدان، العز والصولة، ج2، ص: 103.

(16) يطلق هذا الاسم على مجموعة من الواحات، الواقعة على ضفتي وادي زيز ووادي غريس والنيف، تبلغ مساحتها حوالي 12 ألف هكتار. أنظر: الصديق ابن العربي، كتاب المغرب، ط3، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، دار الغرب الإسلامي، 1984، ص: 98.

(17) السبتي، المجتمع الحضري والسلطة بالمغرب، ص: 73.

(18)العباس بن إبراهيم المراكشي، الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، ج6، المطبعة الملكية، الرباط، 1997، ص: 129.

(19) السبتي، المجتمع الحضري والسلطة بالمغرب، ص: 76.

(20) الكلمة مشتقة من كلمة المرابطة أي ملازمة المكان، أو المعهد أو الحصن، ولما كانت الزاوية هي المكان المخصص، لقب أصحابها بالمرابطين. أنظر: مصطفى شاكر، موسوعة العالم الإسلامي ورجالها، ج3، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، 1993، ص: 181.

(21) يحيى ابن سليمان، نحن المغاربة، مشاكل النمو بين التقليد والتجديد، ط1، دار الغرب الإسلامي، الدار البيضاء، 1985، ص: 186.

(22)ـ جاك بيرك، عبد الله العروي وآخرون، الأتربولوجيا والتاريخ حالة المغرب العربي، ترجمة عبد الأحد السبتي، ط2، دار توبقال للنشر، المغرب، 2007،ص: 50.

(23) نفس المرجع، ص: 50.

(24) من ذلك زاوية عبد السلام بن مشيش، التي لاذ إليها المولى يزيد بعد فراره من والده السلطان محمد بن عبد الله، والزاوية العياشية المعروفة بزاوية سيدي حمزة بجبل العياشي والتي كانت ملجأ للسلطان عبد الله إبان الأزمة. أنظر: - القادري محمد بن الطيب، التقاط الدرر ومستفاد المواعظ والعبر، من أخبار وأعيان المائة الحادية والثانية عشر، 1164-1167هـ، تحقيق هاشم العلوي الفاسي، ط1، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1983، ص:378-380، (الهامش).

(25) ابن سليمان، ص: 186.

(26) السبتي، النفوذ والصراعات في مجتمع فاس، ص: 73-74.

(27) أبو العباس أحمد المنصور الذهبي، تقلد حكم الدولة السعدية، بعد وفاة أخيه عبد الملك في معركة وادي المخازن، سنة 1578م، وكان محل إعجاب السلطان محمد بن عبد الله، فكان يتحلى بسيرته، ويستحسنها ويتبعها، أكلا وشربا ولباسا وترتيب الدولة وضبط الأوقات، فكان يصرح بأنه أستاذه وقدوته. أنظر: المراكشي، ج6، ص: 110-111، وكذلك: -- عبد الرحمن ابن زيدان، إتحاف أعلام الناس بجمال حاضرة مكناس، ج3، ط1، المطبعة الوطنية المغربية، 1349هـ-1931م، ص: 149.

(28) عبد الله العروي، مجمل تاريخ المغرب، ط1، المركز الثقافي، الدار البيضاء، المغرب، 2007، ص: 505.

(29) في هذا الإطار قامت مصاهرة بين السلطان محمد بن عبد الله والشريف سرور أمير مكة، إذ زف السلطان ابنته إلى الحجاز في موكب حج مهيب يرافقه ولديه المولى علي والمولى عبد السلام، وذلك سنة 1768. أنظر:

- أبو العباس أحمد الناصري، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، ج4، دار الكتب، الدار البيضاء، د. ت. ط.، ص: 105.

(30) إبراهيم حركات، التيارات السياسية والفكرية بالمغرب، خلال قرنيين ونصف قبل الحماية، ط1، الدار البيضاء، 1984، ص: 81.

(31) أوردت بعض الدراسات أن السلطان محمد بن عبد الله، قام بعد زفاف ابنته ببضع سنين بزيارة الحجاز مع أولاده، وإن كانوا لم يحددوا سنة السفر بالضبط. فإن صح ذلك فمعناه أن السلطان ترك العرش شاغرا، وفتح باب التمرد والعصيان من جديد أمام خصومه، ولاسيما ولده اليزيد، وهذا لا يصح إن كانت معظم المصادر تؤكد على أن سفراء السلطان وبعض علماء المغرب، هم من كانوا يزودون السلطان بالأخبار عن أحوال المشرق الإسلامي، ومنها ما يخص الدعوة الوهابية من أمثال الزياني وعبد الكريم رغوان وغيرهم. أنظر: عزيز سامح، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، ترجمة محمود علي عامر، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، 1988، ص: 499.

(32) شارل أندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية، تونس، الجزائر، المغرب الأقصى، من البدء إلى الفتح الإسلامي، تعريب محمد مزالي، البشير بن سلامة، النشرة الثالثة، الدار التونسية للنشر، الشركة الوطنية الجزائرية، الجزائر، 1978، ص: 311.

(33)محمد عابد الجابري، "الأصالة والتحديث بالمغرب"، مجلة الثقافة، العدد: 77، السنة 13، وزارة الثقافة بالجزائر، سبتمبر 1983، ص: 59.

(34) نفس المرجع، ع77، ص: 60.

(35) اعتبر السلطان محمد بن عبد الله نفسه مساويا للسلطان العثماني، ومسألة الخلافة كانت لا تزال تعتبر النقطة الرئيسية والأساسية في الخلاف الدائر بين سلاطين المغرب وبني عثمان، فسلاطين المغرب يستمدون شرعيتهم من تأييد الأشراف لهم، وجاءت مصاهرة شريف مكة تعزيزا لهذا النسب. أما العثمانيون فيستمدون شرعية خلافتهم من قوتهم وبالتالي جاءت الحركة الوهابية وطعنت في صحة خلافة العثمانيين. أنظر: سامح، ص: 498-499.

(36) أبو القاسم الزياني، الترجمانة الكبرى في أخبار المعمورة برا وبحرا 1147-1249هـ الموافق لـ 1734-1904م، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، د.ت.ط، ص: 13.

(37) حركات، التيارات السياسية والفكرية، ص: 67-68.

38- Jean Brignon, Abdelaziz Amine, Brahim Boutaleb, Histoire du Maroc, édition librairie Nationale, Casablanca, 1967, p : 265.

(39) محمد خير فارس، علي عامر محمود، تاريخ المغرب العربي الحديث" المغرب الأقصى- ليبيا"، منشورات جامعة دمشق، 1999-2000، ص: 107.

40-Georges Drague, Esquisse d'histoire religieuse du Maroc, confréries et zaouias ,Paris, 1951, p : 85

(41) جوليان، ص: 311.

(42) ازدهر التصوف بالمغرب، وعرفت مدينة فاس على الخصوص والمغرب على العموم عددا كبيرا من الطرق والزوايا وظهرت طائفة من المنقطعين المتبتلين ممن كان لهم تاريخ وأحاديث ومذاهب تذكر وكان من المنحرفين من يأتي بأعمال تثير ملامة الناس عليهم وهم (الملامتية) من أمثال سيدي عزوز (ت 1031 هـ الذي كان يصطلي بالنار إذا اشتد الحر ويستحم بالماء البارد عند الشتاء، مبالغة في موافقة القدر وجريا على مراد الجو. أنظر: - عبد الهادي التازي، في تاريخ المغرب، جامع القرويين، المسجد والجامعة بمدينة فاس، م3، ط1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1972، ص: 749.

(43) حركات، التيارات السياسية والفكرية، ص: 59.

(44) مجموعة من القبائل استقرت بساحل المحيط الأطلسي بين الدار البيضاء ووادي أم الربيع ومشرع بن عبو، تبلغ مساحتها 12 ألف كلم2، وهي من أغنى سهول المغرب، كانت تدعى قديما بلاد تامنسا، أصل سكانها من بني هلال الذين امتزجوا بالقبائل البربرية. أنظر:

- ابن العربي، ص: 238.

(45) إن رهان السلطان في إثراء البلاد بالتجارة الخارجية، دفعه لعقد العديد من الامتيازات التجارية لصالح بعض الدول الأوربية، وعمد تجار هذه الدول لاحتكار المنتجات الزراعية والإشراف على عملية مراقبة السلع في الموانئ، في الوقت الذي كانت فيه القبائل تتدفق على السهول الساحلية الشمالية الغربية، مما أدى إلى حدوث تغيرات اقتصادية واجتماعية على حساب سكان المدن. أنظر:

à l'impérialisme, 1415-1956, éditions, J. Q, Paris, - Charle André Julien, le Maroc, face 1978, p : 27.

(46) حركات، التيارات السياسية والفكرية، ص: 59.

(47) السبتي، المجتمع الحضري والسلطة في المغرب، ص: 60.

(48) تولى محمد العربي بن المعطي رئاسة أبي جعد بعد وفاة والده المعطي بن صالح سنة (1179هـ/ 1765- 1766) وهي نفس السنة التي هدمت فيها زاوية أبي جعد. أنظر:

- نفس المرجع، ص: 60.

(49) ابراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ من نشأة الدولة العلوية إلى إقرار الحماية، الجزء الثالث، ط1، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1985، ص: 106.

(50) الزياني، ص: 26.

(51) الشرادي محمد بن أبي العباس (ت 1210هـ) كان فقيها وليا صالحا، أديب ومؤرخ، دفن بمقر زاويته. أنظر:

- محمد حجي، موسوعة أعلام المغرب، ج7، 1151هـ- 1170هـ، دار الغرب الإسلامي، الدار البيضاء، المغرب، د. ت. ط، ص: 2455.

(52) حركات، التيارات السياسية والفكرية، ص: 58.

(53) تأسست الدرقاوية في الربع الأخير من القرن 18 على يد العربي الدرقاوي المتوفي سنة 1823م في بوبريح عند بني زروال بمقر زاويته في ورغة شمال فاس، تنتمي الدرقاوية للطريقة الشاذلية الجازولية. أنظر:

- Institut des Hautes études marocaines, Introduction à la connaissance du Maroc, regards sur l'islam au Maroc, Imprimerie Reunie, Casablanca, 1942, p : 240.

-Op.cite , P : 240 .(54)

(55) يطلق هذا الاسم على نهر الدرعة أطول أنهار المغرب الأقصى يمتد من السفح الأطلس الكبير إلى الأطلس الصغير، تأسست بها الزاوية الناصرية في القرن العاشر هجري. أنظر:

- ابن العربي، ص: 134.

(56) تازروالت: إقليم كبير جنوب أغادير على شاطئ المحيط الأطلسي تقع وسطها مدينة إيليغ التاريخية وزاوية محمد بن موسى الجازولي المتوفي سنة 971هـ. أنظر:

- نفس المرجع، ص: 96.

(57) إبراهيم شحاتة حسن، أطوار العلاقات المغربية العثمانية، قراءة في تاريخ المغرب عبر خمسة قرون (1510/ 1947م)، دار المعارف، الإسكندرية، 1981، ص: 438.

(58) الناصري، ج4، ص: 94.

(59) تأسست الزاوية الناصرية سنة 1650م من طرف محمد بن ناصر الدرعي، شيخ زاوية تامغروت، توفي سنة 1669م، وهي على الطريقة الشاذلية الجازولية، ما بين 1690-1790م شكلت الناصرية أكبر طريقة دينية في المغرب. أنظر:

- Institut des Hautes études marocaines, P : 239.

(60) مزغان: تعرف بالجديدة عند أهل المغرب، ولقد أطلق عليها البرتغال اسم مزغان، وكانت تعرف قديما بالبريجة، استرجعها محمد بن عبد الله من البرتغال سنة 1768. أنظر:

- ابن العربي، ص: 117.

- Brignon, P : 265.(61)

(62) ابن زيدان، إتحاف أعلام الناس، ج3، ص: 226.

(63) حركات، المغرب عبر التاريخ، ج3، 106.

(64) اختار مؤسس هذه الزاوية موقعا يتوسط مجموعة من القبائل الجبلية هي بني مشارة، ومصمودة وغزاوة وقد لعبت دور الوسيط بين القبائل، وبذلك أقامت علاقة تبادل خدمات مع المخزن. وتنسب هذه الزاوية إلى الشريف الإدريسي ولقد ربطت أصولها مع الشيخ عبد السلام بن مشيش (525هـ-1228م) الذي ينتسب إليه الأشراف العلميون. أنظر:

- السبتي، المجتمع الحضري والسلطة بالمغرب، ص: 52-56.

(65) إقليم توات: إقليم واسع يشتمل على20 واحة، أهمها: أدرار، توريرت، المنصور، رقان فيها الكثير من الأشراف العلويين. أنظر:

- ابن زيدان، العز والصولة، ج1، ص: 162، (الهامش).

(66) السبتي، المجتمع الحضري والسلطة بالمغرب، ص: 57- 58.

(67) ينتسب الدلائيون إلى قبيلة مجاط، أحد فروع صنهاجة، أسس الشيخ أبي بكر بن محمد السعيد الدلائي الزاوية حوالي الثلث الأخير من ق 10هـ، في أرض دلاء قريبا من تادلا، تفرعت عنها مدينة أخرى تقع جنوبها على بعد 12 كلم، أنشأها حفيده محمد الدلائي سنة 1048هـ-1636م فورثت عن الدلائية القديمة اسم الزاوية الدلائية البكرية، دخلت الزاوية في صراع مرير مع السعديين وقائد سلا العياشي والمولى إسماعيل العلوي. أنظر:

- محمد حجي، الزاوية الدلائية دورها الديني والعلمي والسياسي، المطبعة الوطنية، الرباط، المغرب، 1964، ص: 26-33.

(68) توفي سنة 1228 هـ، كان عالما ورعا، له تأليف في ترجمة والده سماه "اقتطاف الأزهار من حدائق الأفكار"، وله كتاب السلوك وريحانة العلماء والملوك، ومناهل الصفا في مناقب سيدي مصطفى الرباطي"، رحل إلى الحج زمن والده، مات ودفن بفاس. أنظر:

- حجي، موسوعة أعلام المغرب، ج7، ص: 2490.

(69) من المدن المغربية القديمة جدا، احتلها المرابطون وحاصرها الموحدون وكانت شبه مستقلة عن المرينيين، اتخذها محمد الشيخ السعدي، عاصمة له، وسماها المحمدية، تقع على مقربة من وادي سوس. أنظر:

- ابن العربي، ص: 93.

(70) حجي، الزاوية الدلائية، ص: 242.

(71) مؤسس الزاوية الفاسية هو الشيخ عبد الرحمن بن محمد الفاسي كانت وقفا للفقراء على عهد المولى إسماعيل العلوي. أنظر: - حجي، موسوعة أعلام المغرب، ج6، ص: 2230-2231.

(72) السبتي، النفوذ والصرعات في مجتمع فاس، ص: 58.

(73) العروي، ص: 505.

(74) مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، توفي عام 261هـ، أحد أركان الحديث الشريف، وصاحب الصحيح وغيره من كتب الحديث، رحل إلى العراق والحجاز والشام، دارس ابن حنبل وإسحاق بن راهوية. أنظر:

- أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان بحوادث الزمان، د .م. ط، د. ت. ط، ص:282، (المكتبة الشاملة، إص.ث).

(75) محمد بن صالح العثيمين، القول المفيد على كتاب التوحيد، م1، ط1، دار ابن الجوزي، الحجاز، 1421هـ، ص: 401.

(76)هذا الباب له صلة بحديث الغلو في قبور الصالحين، حيث أن الغلو، يصيرها أوثانا تعبد من دون الله، والغلو مجاوزة الحد مدحا أو ذما، والمراد هنا مدحا، وإن كان السلف الصالح ومن كان على نهجهم يرى أن القبور لها حق على الناس من وجهتين: أ - ألا نفرط فيما يجب لها من الاحترام، فلا تجوز إهانتها ولا الجلوس عليها وما أشبه ذلك، ب - ألا نغلو فيها فنجاوز الحد، وجاء في صحيح مسلم عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قوله لأبي الهياج الأسدي: " ألا أبعثك على ما بعثني به رسول الله عليه الصلاة والسلام؟ أن لا تدع تمثالا إلا طمسته ولا قبرا مشرفا إلا سويته". وفي رواية ولا صورة إلا طمستها. أنظر:

- نفس المرجع، م1، ص: 419.

(77) قام الوهابيون وعلى رأسهم شيخ الدعوة محمد بن عبد الوهاب بهدم القبة المقامة على قبر زيد بن الخطاب بالعراق، ثم تلى ذلك هدم الكثير من قباب الصحابة والتابعين ووصلوا إلى

غاية قبر الرسول عليه الصلاة والسلام وإلى الكعبة، فحالوا بين الناس وبين التمسح بها والتماس البركة منها. أنظر:

- محمد بن شوش، الحركة الوهابية وأثرها في العالم الإسلامي 1703- 1830، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1982ـ1983، ص: 19.

(78) معروف بالشيخ الكامل مؤسس الزاوية العيساوية، توفي بمكناس حوالي (1523- 1524). أنظر:

- Institut des hautes Etudes Marocaines, p : 238

(79) هو إدريس بن عبد الله بن الحسن (793- 838م) بايعته قبائل المغرب ملكا لدولة الأدارسة وهو في سن الحادية عشر من عمره، مؤسس مدينة فاس عاصمة للدولة وفيها توفي وقبره مزار في فاس. اعتبر إدريس الثاني حلقة وصل بين البربر والعرب في المغرب الأقصى والمغرب الأوسط فأمه بربرية الأصل، كما أنه تربى في أحضان البربر. أنظر:

- إسماعيل العربي، دولة الأدارسة ملوك تلمسان وفاس وقرطبة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983، ص: 3-6.

(80) معروف باسم سيدي بلعباس، ولد حوالي (1129هـ – 1130هـ)، كان على قدر كبير من التقوى والورع، عاش في عهد الموحدين على عهد عبد المؤمن بن علي، عرفت زاويته إشعاعا كبيرا خلال القرن الرابع عشر. أنظر: - العربي الصقلي، مذكرات التراث المغربي من تثمين الدولة إلى المخاطر، ج2، منظمة الشمال، د. م. ط، 1985، ص: 276.

(81) هو عبد الله الجازولي من جازولة إحدى قبائل السوس الكبيرة التي أنجبت شخصية دينية وفكرية مثل: عبد الله بن ياسين، تلقى الجازولي دراسته بفاس والمشرق، أخذ المذهب الشاذلي، توفي حوالي (870 هـ - 1464م) بآفوغال بإقليم آسفي التي أسس زاويته الرئيسية بها. أنظر:

- إبراهيم حركات، السياسة والمجتمع في العصر السعدي، دار الرشاد الحديثة الدار البيضاء، المغرب، 1987، ص: 332.

(82) عبد الله بن عبد العزيز، معطيات الحضارة المغربية، ج1، دار الكتاب العربية، د.م.ط، 1963، ص: 164.

(83) السبتي، النفوذ والصراعات في مجتمع فاس، ص: 88.

(84) أصل الزاوية القادرية من المشرق، أسسها الشيخ عبد القادر الجيلاني، 1079م-1166م، دفين بغداد وأكبر شيوخ الزوايا شهرة، أما القادرية المغربية فهي امتداد لها، ولها فروع مستقلة عن بعضها في كافة أنحاء المغرب مثل الزاوية الدرقاوية. أنظر:

- Institut des Hautes études marocaines, P : 239.

(85) ابن زيدان، إتحاف أعلام الناس، ج3، ص: 350-351 .

(86) السبتي، النفوذ والصراعات في مجتمع فاس، ص: 88.

(87) بيرك، ص: 50.

(88) كان للوهابيين في الحجاز اتصالات مع حكام المغرب ونعني هنا السلطان سليمان، بعد أن أبطل الإمام سعود وولده عبد الله الدعاء للخليفة العثماني في خطبة الجمعة سنة1223هـ/ 1808م وتم تحرير معظم الجزيرة العربية من التواجد العثماني. واختيار الوهابيين المغرب بوفادة توجهت إليه لأن المغرب لم يخضع أبدا للهيمنة العثمانية، وعلى أن المغرب صاهر أمراء مكة الشرفاء في عهد والده محمد بن عبد الله، ولو أن الوفادة مرت بتونس أملا في الحصول على المساندة كذلك ولقد جرت مناظرة بين الوهابيين وبين المغاربة حول الدعوة الجديدة وبخاصة حول زيارة القبور. أنظر: عبد الهادي التازي، التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم، عهد العلويين الأول، ج9، د. م. ط، 1408هـ -1988، ص: 56.

(89) ابن عبد العزيز، معطيات الحضارة المغربية، ج1، ص: 164.

(90) من العائلات الشهيرة التي كانت تسكن قبيلة بني زروال (الزغاريون) والذين لهم عدة زوايا بالمنطقة، وهم ينتسبون إلى الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومن أشهر الزوايا بمنطقة بني زروال زاوية بوبريح، زاوية أمجوط، زاوية سيدي أحمد الحومي (الزاوية الفوقية)، وزاوية سيدي أحسن الزغاري. أنظر: محمد البشير ابن عبد الله الفاسي، قبيلة بني زروال مظاهر حياتها الثقافية والاجتماعية والاقتصادية، ج22،

مطبوعات المركز الجامعي للبحث العلمي، كلية الآداب، الرباط، 1962، ص : 17-20.

(91) الخزانة الملكية، منتخبات من نوادر المخطوطات، القصر الملكي، الرباط، 1978، ص: 196-197.

(92) تقع جنوب مراكش، فيها أضرحة أولياء المسلمين، كانت قديما قاعدة تجارية للبلاد قبل بناء مراكش. أنظر: ابن العربي، ص: 58.

(93) ابن زيدان، إتحاف أعلام الناس، ج3، ص: 150 .